



د. شاهر إبراهيم ذيب

شعر

عند باب المستحيل

تأليف: د. شاهر إبراهيم ذيب

الطبعة الأولى: ٢٠٠٩.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار مؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٩٦٣

تلفاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

■ ■ ■



تدورُ نصوصُ هذه ا موعةِ الشعريةِ   فلكِ كائنٍ
واحدٍ ينبضُ بهِ قلبُ القصيدة. لن أبوح با ه لأنهُ
هنا... متألق و رض للحياة.

قُولي أُحِبُّكَ لو لمرّةْ

حتّى وإنْ كَذِباً عليّ،

فأنا أُحسُّ بأنّني

إنْ لم تَبوحِي بها إليّ

لا شيءَ أهونُ في الدُنَى

مِنْ أَنْ أموتَ لألفِ مرَّةَ،

أو أَنْ أُصلَّبَ،

أو أُحرَّقَ،

ثـمَّ أُنثرَ كالرَّمادِ

على شغافِ القلبِ،

أو حتَّى علَى ضوءِ المجرَّةَ.

* * * * *

قُولي أُحِبُّكَ لو لمرَّةْ

فتورقُ رَعْشةُ العشقِ

على شبَّاكِ أيَّامي،

وَتنشرُ في سَنا عينيكِ

وردًا كالمنارات،

وتَختبي

في حُضنِها

سُفنُ الضَياعِ،

وتَحتَمي

مِنْ سَطوةِ البحرِ وقَهْرِهْ.

*****

قولي أُحِبُّكَ...

نِصفَ مرَّةْ!

واجْعلي اسمي على شَفَتيكِ مرَّةْ

تَنتَهي كلُّ الجِراحاتِ،

وَتحملُني جفونُكِ كلَّ مرَّةٍ

إذا مَا الصُبحُ تنفَّسْ

كالجَوارِ المنُشآتِ

في بحارِ الدفءِ

للأَعْرافِ والطُورِ المقدَّسْ...

قولي أُحبُّكَ لو لمرَّةٍ.

اللَّيلُ في عَينيكِ

يُوحي بالضَّياعِ،

وظلالُ عَينيكِ الكَئيبةِ

خبَّأتْ ألَمَ المآقي، وارتمت

بَينَ العَذاباتِ الرَّهيبةِ،

وانكساراتِ الوَداعِ.

حَارتِ الشَكوى

يكادُ القَلبُ يُخفيها

فَتَنتَقُ كالجبالْ

بِتَبارِيحَ وزفراتٍ غَريبة .

لا تُواري بَعدَ هذا اليومِ

ما خَانتْ عيونُكِ مِنْ دموعْ،

فأنينُ الوجْدِ

لا يَقوى على الصَّبرِ

فيَمضي في الصَّحارى . . .

يَرتَقي نحوَ السَّماواتِ ويَفنَى

في شغافِ القَلبِ

ما بينَ الضُلوعْ،

وأنا المَقتولُ بالأشواقِ حَرقاً

لَمْ يَعُدْ — كالليلِ — مستوراً

حنيني لِلّقاءْ . . .

لمْ يَعُدْ للقلب ما يَخشاهُ

إنْ تبغيه رِقَّاً،

فَسحرُكِ أَسْرَى بِعَبده في الفضاءْ

يَمتطي مِنْ جُذْوَةِ الحُبّ بُراقا .

كُلَّما ذابَ إهابي

في جَحيمِ الشَّوقِ

أو في لهفة الأَيدي

الرَّقيقة لالتقاءْ

بدَّلَتْهُ رغبةُ الحِرصِ

إهاباً من ضَبابٍ .

((آه يا أَيقُونةَ العشقِ المحاصَرِ بالقبيلة !

إنَّني أخشى عليكِ !

إنَّني أخشى على الإبداعِ يَفنى

فِي هوى التَجْهيلِ

والعِرقِ المقدسْ.

كم يُؤرّقُني بأنَّكَ لستَ مُلكَكَ!

سوفَ يأتي - رغمَ هذا الحسّ...

رغمَ هذا الأنفِ - من ترْضَيَنهُ

لو بحَدّ السيف

أو حتى بأعرافٍ تَذلُّك.

مثلُك لا يَصْلُحُ الوقتُ لها،

فلقد جئْتِ كما الشّذْرِ ابتهاجاً

فِي زمانِ الجَدْبِ والأرضِ المكبَّلة

بأحكامِ الرجالِ)).

خَبّئيني بينَ جَفْنيكِ... قليني

عَن عُيونِ النّاسِ والصبّارِ

وارِيني . . . اقتُليني . .

ذَوِّبيني في رَحيقِ الطَّلِّ

في تَنهيدةِ الوَجعِ المُدمَّى،

وانثُريني فوقَ جُرحِكِ

ربما أمضي خِلالَ الجُرحِ

للقلبِ المُسوَّرِ بالقَصيدة.

انْكُريني . . . ولتَمُدّي لِيَ خيطاً

منْ شغافِ القلبِ للقلبِ لعلّي

أُسْمِعُ النَجوى بَعيداً

عن عيونِ البُغْضِ والرَّفْضِ فإنّي

قد خَشيتُ إنْ تَبوحي بهوانا

أَنْ تكوني مَنْ تهاوتْ

بينَ كفَّيْهَا النُبوءاتُ التَليدة،

واسْمعي للمرَّةِ الأُولى

وربَّما الأخيرةُ...

إنَّي قدْ هِمتُ فيكِ يا عَنيدة.

تَنْتَصِبِينَ أَلَقاً

بَيْنَ الموتِ والجُنونِ،

فتَطرُدِينَ طُقوسَ الحياةِ الرَّتيبةِ .

تُداعبينَ الموتَ بأصابعِكِ تارةً،

وتارةً تَتَقَمَّصينَ الجُنونَ

بمُقلَتينِ ترفُضانِ الطَّرْفَ،

* * * * *

أنا المُسافرُ دوماً !

حاملاً حقائبَ حيرتي،

أُبحرُ في نَزَواتكِ المُحيِّرةِ،

وأحاولُ انْتشالَ الوجعِ المُستوطنِ

في بحرِ كآبتكِ المُزمنةِ،

فأُثْقلُ أيّامي بِوطأةِ الحُزنِ

اللاّهث في عَينيكِ .

* * * * *

أيّتُها الحاضنةُ لكلِّ الآلامِ

أرْفقي بخافقٍ

أنهكَتْهُ جَنازاتُ الليلِ

المنثورةُ على أرْصفةِ حَياتي،

وأَبعدي عنْ سُهولِ الفَرحِ

غربانَ الزّرعِ المُتواطئةَ معَ القحْطِ.

أَوْرقي كمَا الفرحُ في عُروقي

عندما أَضُمُّكِ لصدري.

زاوجي بَينَ المَوتِ والجُنونِ

لَتنتعشَ الحياةُ،

ولَتبقي حَميمةً كالظّلِ،

فسأُحبُّكِ بدونِ رائحة،

وَلنْ أَقبلَ أنْ تكوني ضِفَّةً للنَهرِ

أو راعيةً للملائكة،

وَلْينهضِ الفَجرُ في صَدركِ

كبرتقالة بيضاءَ

لا تَعرفُ النّومَ.

مَاذا أقولُ لمَنْ رأوني

إنْ شاهدوكَ في عيوني،

وأنا إذا أعْطَيتُ وعداً

أنْ يَظَلَّ القلبُ مثواكِ،

وأنَّ مودَّتي سُورٌ لكَ

فنكثتُ. . . أرجوكِ اعذُريني

إذْ أنَّهُ ما عادَ يُمكنُني

مُقاومةَ اندفاعي

في لَظَى جَفنيكِ

أو في حُرقةِ اللَّحظِ المُطوَّقِ

بالوساوس والشُجونِ،
فغَزَوْتَ أعْضائي
ومن ثـمَّ كَما الطَّوْدُ انْتصبْتَ
بينَ أنفاسي وأحرقتَ سنيني.
*****

ماذا أقولُ
وأنت الآنَ عَوسَجةٌ
تُمارِسُ لُعْبَةَ الإغواءِ
ما بينَ الكواكب
ثـمّ تَمضي في ثنايا النَفسِ تُضْنيني،
وليسَ بِقُدرتي التَحليقُ
ما بينَ المجرّاتِ،
وليسَ بطاقةِ الموت — ابتداءً —
أنْ يُراوغَ غُربَتي أو يَحتويني.
*****

ماذا أقولُ لِمَنْ رأوكِ في عيوني ؟

فالشمسُ هلْ يُمكنُها

أَنْ تَختفي في النُورِ إنْ شاءتْ ؟

وهلْ جِيْزَتْ لَلهفةِ عاشقٍ

أَنْ تَنتَهي

منْ غيرِ أنْ تُضنيهِ

آهاتُ التَشَظّي

في ليالي النَوحِ والوَجعِ اليَقينِ .

*****

لا تَرحلي ! !

أَرجوكِ أَنْ تبقَيْ قليلاً

فوقَ أهدابِ جُفوني

إِنَّ بعضَ الوقت يَكفيني

لأُغمضَ بَينَ كفَّيكِ عيُوني،

واسمحي بعدَ مُواتي

أَنْ أَراكِ في شغافِ القلبِ

أو في المُعْصراتِ،

ولَتكوني جنَّتي في السرْمَد العِشقيْ. . .

فكُوني. . . ثمَّ كُوني.

بالأمسِ طوَّفْتُ حولَ عينيكِ

منْ دونِ أَنْ تَشعُري بي.

تَدفَّأتُ بأنفاسكِ الهادئة،

واقْتَربتُ منْ قلبكِ أَسمعُ خفقانَهُ.

أَحسستُ بنبضاته،

وبِكلِّ دفقة دمٍ تَخرجُ منهُ،

عندها تمنَّيتُ أَنْ أكونَ أحدَ أعضائكِ

لِيَصلَني حبُّكِ محمولاً معهُ،

بلْ تمنَّيتُ أكثرَ !

تمنَّيتُ أنْ تجدي لي مكاناً

في بُطَيْنِكِ الأيسرَ . . .

زاويةً صغيرةً

أقبعُ فيها طاوياً جَسدي . . .

زاويةً لا أختارُها أنا

بلْ تختارينَها لي .

لا يَهُمُّ حَجمُها ،

وإنْ لَمْ تَجدي لي مَكاناً فيهِ

فلا بأسَ أنْ تجعَليني

على قائمةِ الانتظارِ ،

عندها أَعيشُ على الأمل .

* * * * *

أمَّا عندي ! !

فأنتِ كما تشائينَ ! !

تَغلغَلي في حَياتي،

وانْشُري رغباتكِ

وأهواءكِ في حَنايا قلبي،

ولنْ تكوني بحاجةٍ

لاستفزازِ جميعِ قُدُراتكِ،

فقليلُ من الكَيدِ

يُمكنهُ أنْ يُوقِفَ عقاربَ الساعةِ،

ويُدخِلَني في مُتعةٍ أبديَّةٍ.

عندئذٍ أكتفي

بأنْ أُلامِسَ كَفَّيكِ

لأشْعُرَ بروعةٍ

لا يُضاهيها أيُّ شرابٍ.

..

تأتينَ من عَطَشِ الصَّحارى
كاللَّهيبِ الأَبيضِ المَحمومِ
يَرتشفُ النَّدى. . .
نَشوى كأوهامِ الرِّسالةِ
عندما تُلقي بأسلحةِ النُبوَّةِ
في ظلالِ البُغضِ،
والأرضِ المُمَزقةِ

بأحقادِ الرِّجالِ.

تأتينَ منْ وجعِ المسافاتِ المُزخرفَةِ

بترحالِ الطيورِ.

لا شيءَ يَلهثُ — غيرُ صوتِكِ — في العَراءِ

وأنت السَّبيُّ يُرسمُ الكونَ بلحظٍ

من سهامِ الفَجرِ... لا يَقوى

على مرثيَّةِ العينينِ،

أو يَمضي بلا سَفرٍ... تُراه!

ضاعَ ما بينَ الحقيقةِ والخيالِ،

أو صارَ طيفاً

في خيامِ القادرينَ،

وفي عيونِ العابثينَ

بأحلامِ الإماءِ.

هذا زمانُ الرِّدةِ المَحْشُوِّ

بالقولِ المُقدسِ والمزيَّفِ .

في ثنايا جلدهِ المَصنوعِ

منْ جَسدٍ مُعَرَّى

يَحرقُ الحَرْفُ الحقيقةَ

إذْ طَواها بينَ فكَّيْنِ

وشيءٍ منْ لُحَى التاريخِ

والعُودِ المُموّهِ للشُذُوذِ ،

وأنا وأنتِ الآنَ مُرتهنانِ

عندَ بَراثنِ التَدْجيلِ

باسمِ اللهِ أحياناً كثيرةْ ،

وأنا وأنت الآنَ ملعونانِ

بالتاريخِ يكتبُهُ العَبيد،

ونشيدُ حَبيبتي المفتونُ بالألوانِ ينفُثُ شَدوهَ:

يا أَيُّها الشجرُ المُعَرِّشُ

في لحاظِ حَبيبتي

لا تَهدُرِ الوقتَ وَبُحْ لي

عن شِغافِ القلبِ

هل ما زالَ يُخفي تَحتَهُ

اسمي؟

وهلْ ما زالَ يَسْرِي

في عروقِ فؤادِها شَوقي فَقدْ

جَالتْ على أطرافِ أُمسيتي

ابتهالاتُ التَصوُّفِ، واثَنتْ

تَهْمسُ في أذنيَّ

في ليلٍ بَهيمْ،

ومِنْ شَذا أنفاسِها

ما زالَ موتي واقفاً كالنهرِ

لا تَثنيه أشجارُ الصَنَوْبَرِ

عن متابعةِ العُروجِ إلى الجَحيمْ.

يا أيُّها الفجرُ المسافرُ للنهارْ

خَبِّىءِ الضَّوْءَ فإنَّ حَبيبتي

ما زالَ حُلْمُهَا

فِي رَحى التكوينِ ينتظرُ الولادة،

وإذا حَطَّتْ نُبوءتُكَ على جُدُرِ المدينةِ

فَلْتَكُنْ أُوْلى عباراتِ الرّسالةْ:

حُبُّنَا كالصوتِ قدْ يَمضي بعيداً غيرَ أَنَّه لا يزولْ

قدْ يكونُ عالياً حيناً ،وحيناً قدْ يُغطِّيهِ الذُهُولْ

رُبَّما بَعدَ حياةٍ. . . أو دُهورٍ قدْ تَطولْ

يَلْتقيه فِي صحارى الجوفِ هَيْمانُ يَجُولْ

ذاكَ دوماً حُبُّنَا يَبقى ولا يَخشى الأُفولْ.

تَأتينَ منَ البَحرِ

كالغُيومِ المُتمرِّدةِ،

وتَحملينَ بينَ يديكِ كلَّ الأنواءِ،

فتُثقلينَ الأرضَ وقلبي

بتَردُّدكِ وعبثيَّتكِ.

تتجاذبُني سنابلُ القمحِ

في السهولِ المترامية،

وتُحاصرُني لِحاظُكِ

كغُربانِ الزرعِ.

كدتُّ أنوءُ بحُضورِكِ

فلا تُحاولي إقناعي

بأنَّكِ تُحبينَني،

فلقدْ أخبرَتني طَلاسمُ المَدِّ عنكِ،

وكلُّ السَحَرةِ الّذين جنَّدْتِ

لَنْ يأتمروا بي بعدَ الآن،

فلقد باعوا أنفسَهمْ للفضيحةِ.

*****

كانَ عليكِ أنْ تتوقَّعي الاختناقَ

مُنذُ وهبْتِ نفسَكِ للدُخانِ،

فلَنْ يكونَ بمقدورِ أحدٍ إنقاذُكِ.

لا تَحتجّي على الحَياةِ

وأنتِ تَصنعينَ الموتَ،

وحبَّذا لوْ تَعلَّمتِ منَ الفراشاتِ

كيفَ تَتلذَّذُ بالضوءِ

وهي تَتلاشى في النَارِ.

*****

هل قُلتُ إنّي أكرهُكِ،

وإنّي لَمْ أَعُدْ أُطيقُ

مُرورَكِ في مُخيّلَتي؟

أَنظرُ عبرَ الضوءِ،

فأراكِ تَجثُمينَ في قلبي

ثقيلةً كالعُزلةِ،

وكجُذْوةٍ من الحُضورِ اللامُتناهي،

فلا أستطيعُ انتزاعَكِ

أو احتواءَكِ.

تَتدفقينَ في شرايِيني

كحبّاتِ البَرَدِ،

وأستسلمُ أمامكِ

كنسْرٍ يُساقُ إلى المقْصلةِ

مُحاولاً أنْ يجعلَ منْ لحظةِ الموتِ

طَلْقةً منَ الحُبِّ.

*****

لا شيءَ عندي لأُخْفيهِ عنكِ،

فأنا مُخترَقٌ بكِ،

وأنفاسُكِ تغتالُ جميعَ أعضائي

فتتمدَّدُ أحزاني أمامَ عينيكِ

طريّةً كأوراقِ الزيتونِ.

أيُّ جبالٍ كوَّنَتْ مشاعرَكِ ! !

أهُرِمُ بينَ يديكِ،

وأُحسِّ أُنْ لا شيءَ يفصلُني

عن الموتِ إلا كلمةٌ واحدةٌ منكِ .

حَبيبتي انْتَحبي قَليلاً

إنَّ بَعضَ الدَّمعِ

يَجلوْ القلبَ منْ ظُلـمِ القبيلة،

ولْتَصُبّي فوقَ قَلبي

دمعَ عينيكِ القتيلة،

واحرِقي ما كانَ

منْ نَجوى اشتياقي

في لقائي معَ جَفنيكِ

فقد كانَ لقاءً في فُراقِ.

*****

حَبيبتي انتَحي قليلاً

إنَّ دمعَ الحُبِّ

يُورِقُ في حياتي.

رُبَّما يَعْشَوشِبُ القلبُ بِهِ

بعدَ أَنْ مَرَّتْ عَليه

منْ ضُروبِ الجَدبِ

والتَجْفَافِ حَيواتٌ عديدة،

ولتَكوني مثلَ حَبِّ الطَلعِ

مَنثوراً بأوردةِ المسافةِ

بينَ جَفنيكِ وقلبي

حيثُ تَرتعشُ السَماءُ

وَيمتطيها عطرُ جيدكِ

في الصباحِ وفي المَساء .

*****

حَبيبتي انتَحي قليلاً . . .

أسمعيني كيفَ يَسْري

في لَظَى القلبِ النَشيجْ .

عَلّميني كيفَ يَجهَشُ

ذلكَ الطفلُ المُعذَّبُ

بينَ أمواهِ الخَليج،

وليَكنْ دمعُ جُفونكِ

جُذْوةَ الحُبِّ العتيقةِ،

فأنا والنَهرُ فانوسانِ

ليسَ يُضيئُنا زيتٌ،

ولكنْ كُلُّ هذا النورِ

في الأرضِ أراهُ

منْ جَنى عينيكِ

يُحْبَكُ كالنَّسيجِ . . .

حَبيبتي انتَحي قليلاً

مثلَ قلبي والخليجِ .

ها أَنا في سُهولِ الشّكِ

أزرعُ أحزانَكِ وأفراحَكِ في قَلبي.

أَرويها بلهفتِي وأغمضُ حُزني،

ثم أنظرُ إلى السماءِ كي أراكِ.

*****

أيّتُها المُتَمترِسَةُ خَلْفَ دِثارِ القلقِ

لا تستنزِ في عافيتي،

ودَعيني أُعايِشُ الرَّتابةَ للحظاتٍ قليلةٍ،

ثـمَّ ليَتغلغَل تَردُّدُكِ في أرجائي كما تشائينَ.

*****

برائحةِ عينيكِ التي تَلفُّني

لمْ يَعُدْ للبُعْدِ عنكِ شَجَنٌ

بلْ أصبحَ عندي رَتيباً ،

ولمْ يَبقَ لصورتِكِ ضرورةٌ كي أُحبّكِ،

وهذا النورُ الّذي مَلأتِ بهِ قلبي

بَدا كموجِ بحرٍ لا يَهدأُ . .

يَغسلُ أيامي مِنْ لوعةِ نوئكِ .

*****

أَسيرُ في ملكوتِ حبّكِ !

تَأخُذُني أسْرابُ القَطا

كصباحٍ جديدٍ

يَكْنسُ أمامَهُ

لُهاثَ اللَّيلِ العابثِ،

فأَتبعثرُ أمامَ لحظيكِ

كأصابعِ رضيع .

شَفَقٌ يُسافرُ في صَحارى الجَوفِ

يَبحثُ عن غَضًا،

ويَمُدُّ أُنمُلَهُ ليقطفَ

منْ شَذا عَينيكِ أُغنيةً ويَمضي

يَنشرُ الكلماتِ فوقَ الكونِ...

يَزرعُها لِتَبْسُقَ أَحْرُفاً

بدمٍ وأحلامٍ فلا

يَقوى على إحراقِها

وَهَجٌ من الأرضِ ولا قَدَرُ الفَضَاء

* * * * *

شَفَقٌ يُعاندُ لحظةَ التَكوينِ

في زمنِ البدايات،

وأنت هناكَ شَرنقةٌ

نُسِجَتْ لها مِنْ مَغزلِ الصَحراءِ

حالاتُ التَحَوُّلِ والحياة.

* * * * *

مِنْ أَينَ جِئْتِ فراشَتي؟

كالأَسْرِ لا يَثْنيه وقتُ،

وكيفَ أصبحْتِ الأسيرة؟

في غَيهبِ الزَمَنِ المُعاندِ للنبوءة،

ولقدْ تقمَّصت الرُّبى

كغزالةٍ جُدلتْ ضَفائرُها

بذراّت الرّمالِ الصُفرِ،

واكتحلتْ عيناها

من ودْق السَماوات،

وشَبَّ شفاهها وهجُ الظهيرة.

*****

حبيبتي!

أنا لنْ أقولَ بأنّكِ الأُنثى الوحيدةُ

إنْ ضَحكْت يطولُ عُمْرُ الأرضِ

أجيالاً وأكثرْ،

أو إنْ بَكتْ تغفو على كتفيْها

غاباتُ الصنوبر.

أنا لنْ أقولَ

بأنَّ تَفَتُّحَ الأزهارِ

يَستجْدي مُرورَكِ فوقَ تُربَتها

فَتَربُو منْ نَدا كَفَّيْكِ ياقوتاً وعَنبر،

*****

حبيبتي

تَدرينَ أنّي لمْ ولَنْ ألقاكِ يوماً،

غيرَ أنّكِ كالنّهارِ البِكرِ

قدْ تَغْشَاهُ أمواجُ الغيوم .

لكنّكِ لنْ تَنحني للموتِ

إنْ جاءت به

في السّرِ أزمِنةُ الظلام،

فامنحي وقتَ الظهيرةِ

بعضَ أجنحةَ العُروجِ إلى الحقيقة،

وامنحيني بعضَ وقتَكِ

كي أَحلَّ بخفقةِ القلبِ،

ورَعشةِ صوتكِ

المنثورِ في وَهَجِ النجومِ،

وفوقَ أطرافِ المجرَّةَ،

وإذا ما حانَ في عينيكِ موتي،

ولستُ بدافعٍ موَتي

إذا ما جاءَ لكنّي

شموخَ

الْهَامِ في لحظيكِ

لمْ أَحْنِ ولَنْ أَحني

فلا تَحْنِي.

مَدينةٌ لا يأكلُها اللَّيلُ

تَغمسُ قدمَيها بمياهِ البَحرِ كُلَّ صباحٍ،

ويَعْقدُ الغُرابُ والحمامُ

صداقاتٍ على أعمدةِ نورِها .

تَتزواجُ في شوارعِها

ألْسنةُ البلادِ البعيدةِ .

كلُّ شيءٍ يُبهِرُ في الظاهرِ

ولكنَّهُ يتضاءلُ في تفاصيلِه .

هنا !

أَنا لا أَنتمي للمكانْ،

وتَتآكلُ في داخلي رَغباتُ الإلفةِ،

فأغرقُ في رمالِ الصَحراءِ،

وأتسلقُ أشجارَ النَخيل .

* * * * *

لا وقتَ للمهادنةِ معَ هذا الكائنِ،

ولا فرصةَ معهُ لعقدِ الصَّفقات .

أمرٌ مثيرٌ للدهشةِ والحُزنِ،

وسؤالٌ يَخدُشُ القلبَ:

مَا الَّذي يَفصلُ بينَ تلكَ الباحثةِ

في حاوياتِ القُمامةِ

وتلكَ القابعة في فندق خمسة نجوم ؟

بينَ تلكَ التي تَحملُ طفلَها على ظهرِها

وتَجوبُ به حاوياتِ المدينةِ

لتَتَخَضَّبَ بروائحها ،

وتلكَ العاقرِ في الرَّواقِ لا تُزعجُها

رائحةُ سجائرِ الكنت لايت ؟

أيُّ خيطٍ يصلُ بين حاويةِ القمامةِ

وحذاء السيِّدة ؟

* * * * *

آهٍ يا مدينةَ البحرِ

والنوارسَ الجائعةَ ! !

كيف تتمشَّينَ بين قَرِيناتك ،

وأنتِ لا تَمتلكينَ حسَّ اللَّوعةِ !

أبناؤكِ ليسوا قنافذَ ،

وأنت المُشَرَّعَةُ أبوابَكِ لِكُلِّ النفاياتِ !

أَمَا آنَ لكِ أَنْ تَغتسلي بالضوءِ

وتُصَلّي رَكعتينِ للفقراءِ !

*****

أَبحثُ في قَلبي

فلا أجدُ إلاَّ حَنيناً حَزيناً يَعرُجُ بي للسَّماء .

أُحَلِّقُ فوقَ الأرضِ البُرتقاليَّةِ

والمشوَّهةِ بخطوطٍ طويلةٍ سوداءَ .

تُرَى !

لماذا تُحلّقُ الهمومُ أبعدَ منَ الغُيومِ ؟

*****

هكذا . . . يبعثُ البُعدُ عَنكِ

صَفاءً في الرُّؤيةِ،

وَتَدفُّقاً في الرُؤى،

فأصبحُ ولا شيءَ يَفصلُني عَنكِ

أكثرَ مِنْ لَهفةٍ أو طَرْفَةِ عينٍ .

أسافرُ بينَ جَفنيكِ فتُعانقني النُجومُ،

ومَوجُ البَحرِ اللاّهثُ أمامي

لا يُتعبُهُ الرَّكضُ الدائمُ وراءَ طيفكِ،

فأيُّ حياةٍ تلكَ التي تَتخلَّقُ مِنْ أنفاسكِ !

وأيُّ سحرٍ يَستجدي لمسةً من يديّكِ !

وأنا . . . صدّقيني لا يُمكنُني العيشُ

بدونِ أنْ أتنفسَ حُبَّكِ .

* * * * *

آهٍ يا فراشةَ حياتي !

كمْ أتوقُ لهاتينِ العَينينِ !

وكمْ تَمَنَّيتُ أنْ تُطوِّقَني ضحكتُكِ المائيَّةُ !

وهذه الأصابعُ العابثةُ بضفائرِ اللَّيلِ . .

لَيتني ألثمُ أظافرَها الزَهريّةَ !

حبيبتي !

لو أنَّكِ بجانبي لأخَّرْتُ إلى الغدِ

موعدي معَ الموتِ،

أمَّا وأنَّكِ أبعدُ منَ السَماءِ

فالأمرُ سواءٌ عندي .

وجَاءَتْني على خَفَرٍ

فَلاأَبهى ولا أَجْملْ

تَهادَتْ سَاقُها اليُمنَى

ويُسْراها بِها تُمْهِلْ

تَبَاطَأَ قَولُهَا وغَفَا

وخَفَقَ فؤادِها أَجفلْ

فعانَقَ لحظُها شَوقي

وَلهفةَ فرحتي أوصلْ

وأطرقَ جَفنُها خَجلاً

وأغمضَ هُدْبَهُ الأكحلْ

سَبَاني قَدُّها المَيّاسُ

مِنْ دَلٍّ وما دَلَّلْ

وما طالَ اللّقاءُ بِنا

فأقْصتْ وجهَهَا المُذْهلِ

وراحتْ تَلمسُ الجُدرانَ

مِنْ هَولِ اللُّقا الأوْل

فليتَ دقائقي جَمُدَتْ

وليتَ لقاءَنا طَوّل

أَنْشدتُ الأورادَ كُلَّهَا،

وقرأتُ أذْكارَ الصَباحِ والمَساءِ

لَعلّيَ أحْظى بجنَّةِ اللهِ..

إلى أنْ حَلَلت بِقلبي،

فأصبحْتِ أذكاري وأورادي

ألهَجُ بِها كُلَّ لحظةٍ

لعلَّها تُنقذُني مِنْ نارِكِ

فلـم تستطعْ،

فعَلّميني ما أقولُ

كي يَتَّسعَ قلبي لحُبِّكِ.

*****

حبيبتي!

أنتِ كالوقتِ

ليسَ لديهِ مُتّسعٌ للانتظارِ،

فلا تتركيني بينَ يَديكِ كالحاضرِ

عندما يكونُ بمقدورِكِ

أَنْ تكوني ماضيَّ ومُستقبلي.

يا امرأةً تُخْتَصَرُ الحياةُ بينَ يديها

من البداوةِ إلى العَصريَّةِ

تُربكُني أحاسيسُكِ الموغَلَةُ في الكآبة.

يَنهضُ الفجرُ في عينيْكِ

كأُسطورةِ الصَحراءِ،

ويَغزِلُ الضوءُ من خيوطِ لحظكِ

كلَّ أغاني الطيورِ العاشقةِ للحياةِ.

احْمليني بينَ يديكِ

كنَجمٍ في طَورِ التكوينِ،

وتُبقيني بعيداً عن الزمنِ وتدَرُّجاتِه،

فلم يَعُدْ يُهمُّني

دورانُ الكواكبِ.

اضْمُميني إلى صدرِكِ

لأرى كيفَ تُشكّلينَ العوالِمَ،

وكيفَ تعجنينَ المشاعرَ،

ودَعيني أُجَرِّبُ السَرمديَّةَ

لوْ بقبلةٍ واحدةٍ

من شَفَتَيكِ المُبدِعتَيْنِ.

!

قالتْها بعدَ تردُّدٍ،

ومَضتْ على خَفَرٍ

تُعانقُ أُنْجمَ اللَّيلِ،

وتَخْرِقُ وِحدَتي،

وبقيتُ ما بينَ الذُهولِ

وبينَ لوعةِ خافقي،

فكأنَّني

لمْ يَجْرِ بينَ جُفونِها

عُمري كأسرابِ القَطا،

أو أنَّني

ماءٌ تمددَ فوقَ كفَّيها هُنيهَةً

ثمَ سارعَ في الخُطى.

*****

قالتْ أُحبُّكَ!!

حبيبتي

يا ليتَ أنَّكِ لَمْ تقوليها فإنَّه

ليسَ يُرغِمُكِ الهُيامُ

بأَنْ تبُثّي سِرَّكِ المكنونَ

ما بينَ اللَّيالي والحَشا ،

وليسَ يَثنيني سُكوتُكِ

مِنْ عِناقِي لحُبِّكِ المنثورِ

في وهجِ الصَّحارى والغضا .

* * * * *

(رِيميَّةٌ)[1] أنتِ!

صَفاؤُكِ مُذْهِلٌ، والأرضُ

تُخْرِجُ كَنزَها إنْ تأمري،

وسوادُ عينيكِ المسافرُ

في ظلالِ الجَفنِ يختصرُ المسافةَ

بينَ قلبينا فنَشرُدُ..

نَقطفُ الأضواءَ مِنْ بحرِ المَجرَّةِ،

ثمَّ يجمعُنا الحنين،

1 ريميّة: اسمٌ للغزالِ الناصعِ البياضِ بلُغةِ أهلِ منطقةِ الجوفِ في المملكةِ العربيَّةِ السُعوديَّة.

فأدورُ في فلكِ اللِّحاظِ، وأنتهي

ما بينَ كفَّيكِ

وثغرُكِ يَستميلُ تردُّدي . .

فلترِفقي !

لا لستُ أَقْدِرُ أنْ أقاومَ فتنَةَ الشَفتينِ

إنْ بَدَتِ الضَواحُكِ في الفَمِ .

* * * * *

ريميَّتي !

انتظري ولا تَستَعجِلي الأيامَ

إِنَّ الوقتَ يَبني بينَ جفنيكِ الأَماني،

واتركي الأحلامَ تُورقُ

فوقَ أشجارِ التَرَوّي،

وامنَحيها بعضَ صبرِكِ،

وامنَحيني بعضَ قلبكِ،

إنَّني مُذْ هزَّني سِحْرُ الخَواطرِ

بينَ جفنيكِ

نَسيتُ الأرضَ والإنسانَ

في الزمنِ المُسافرِ.

مُنْذُ أُحببتُكِ

والقلقُ المنتصبُ أمامي

يَنتظرُ غفوةَ عشقي

ليُحيْلَني إلى طَلْقَة،

والرّعْشةُ المُتمترِسَةُ

عندَ شغافِ قلبي

تَخرُقُ رِتابَتَهُ

وتَنهشُ لحظاته.

* * * * *

منذُ أُحببتُكِ

وأنت مُلتصقةٌ بشرايني

كعلقةٍ لا ترتوي،

أو كفيروسٍ يتضاعفُ في خلايا حياتي،

وقد اتَّخذَ قرارَهُ ألاَّ يتركُني

إلا بحركة نزقة من الموت.

*****

منذ أُحببتُك وأنا أتمنَّى

أنْ تكونَ أصابعُ يديكِ

مَنْ يُطبقُ جُفوني للمرَّةِ الأخيرةِ

عندما ينقلُني حُبُّكِ للحياةِ الأبديَّةِ.

ومنذ أُحببتُك!!

وأنا أخشى إنْ توقفَ حُبُّكِ لي

أنْ أفقدَ كُلَّ ما سَبقَ

فرفقاً... لا تتركيني.

عَبثاً أحاولُ أنْ أقاومَ

لحظَ عَينيكِ وطيفَكِ

مِنْ مُحاولةِ التَغلغلِ في فضائي .

مُتجاهلاً إحساسَ إصبَعكِ

المسافرِ فوقَ خَارطتي فأمضي

في أُتونِ الوَهمِ عَلّيْ أَحْتَمي

مِن حَارقاتِ حضورِكِ

المَبثوثِ في وِديانِ أورِدَتي

فيَخْذُلُني اكتوائي.

*****

هذا زَمانُكِ يا مُخلخَلَةَ الحياةِ

فَلْتَقْتُصِي ما شئتِ منْ أنْجُمِ وَقتي،

ولْتَخيطي مِن صَدى قَلبي

دِثاراً لهواكِ،

وارسُمي حُلُماً لثَغرِكِ

مِن حكاياتِ حياتي.

*****

هذا زمانُكِ

فاجعليني طائراً بينَ يديكِ،

وإذا انْتَصَبتْ جِراحاتُ الرَّحيلِ،

فانْشُريني فوقَ موجِ البحرِ . . .

فـي تَنهيدةِ الوَجْدِ المُعاندِ للرَّتابةِ،

ومُريني تَجِدْني

راجعاً ما بينَ جَفنيكِ

أعاودُ رسمَ لونِ اللَّيلِ

مِنْ بحرِ الصَبابَةِ،

ولْيَكُنْ بوحي

على قَسَماتِ تيهي

بَعدَ رَدَحٍ مِنْ زمانِ الجُرحِ والهَذَيانِ

مَمْهُوراً بِفَقْدِكِ كالقِلادةِ،

وإذا ما ضَلَّ دَرْبِي

في سَراديبِ الظَّلامِ

فامنحيني

مِن بَواكيرِ رِوَائِكِ

ما يُعاوِدُ خَلْقَ رُوحِي

بعدما صَدِئَتْ مَتارِيسُ الولادةِ.

*****

أَنتِ يا كَونيَّةَ الألوانِ

لا تُلقيْ عَصاكِ في حَياتي،

واتْرُكي ما بينَ أحزاني وسَطوتكِ

صَحاري تَختَفي فِيها

ثَعابينُ التَشَظّي،

وإذا مَرّتْ جنودُكِ

تَستَقي شَكوى التْياعي،

فاغْمريني في أَنينِ التَيْهِ والفقْدانِ

في جُبِّ الضَياعِ،

أو ذَريني عندَ بابِ المُستحيلِ

حيثُ لا تَغفو لِحاظُكِ

عنْ مُمارسةِ الغِوايةِ،

ولْتَكوني مثلما النهرُ انسياباً

فأنا والموتُ شطّانِ

وليسَ لنا بِداية.

مِنْ أينَ جئتَ

بهذا النَّهمِ المُفرطِ للحياة؟

أنت لا تدري أينَ تمضي

ولكنَّكَ تحفرُ بتؤدة،

وهذا العشقُ المُتفرِّدُ للديجورِ

كيفَ تواجهُ بهِ ألقَ الصباحِ؟

مِنْ أينَ جئتَ

بهذا القلبِ الخافقِ بالحُبِّ؟

لا فرقَ عندكَ بينَ أرضٍ وأرضٍ،

وبينَ ليلٍ ونهار .

تتعالى عمّا يُفرّقُ الآخرينَ،

وتمضي في غياهبِ أنفاقك

لتُوَحّدَ أصقاعَ الأرضِ جميعاً،

فَتَنهضُ تلالُكَ الحمراءُ

جُزُراً منَ الحُبّ الطازجِ

لتُزاوجَ باطنَ الأرضِ بالسماءِ .

ها أنتَ الآنَ تحفرُ في قلبي

فَلْتحفرْ!

احفرْ كما شئتَ

هنا . . . وهناكَ،

واجعلِ الدمَ الدافقَ

يَروي كلَّ مساحاتِ البؤسِ

المُترامية في حياتي،

ولتَنهضْ فوقَ كلِّ تلٍ
منْ تلالكَ
شجرةُ أملٍ يَستظلُّ بها
كلُّ البائسينَ فوقَ هذه الأرضِ،
فقد مضى وقتٌ طويلٌ
كادتْ جذوةُ الحياة أنْ تخبو
والناسُ أنْ يَتلاشوا .
أيُّها الخلدُ !
علِّمني كيفَ تَنهشُ الأرضَ
بفمكَ ويَديكَ،
وكيفَ تُخرجُ الماضي للفضاء،
فلقد نَسيتُ كيفَ
يَدخلُ الحبُّ إلى القلبِ
وكيفَ أُسامحُ !

دُلَّني إلى مهجَعكَ

فربَّما أحتاجُ أنْ أُريحَ عقلي

منْ صَخبِ الحياة،

ولا تَقلْ لي أنَّكَ لستَ مُغرَماً،

فلنْ أُصدّقكَ أبداً،

وإلاّ فَلمَ كُلُّ هذه الأنفاقِ

وتلكَ التلال؟

أرشدْني كيفَ أبحثُ عن حَبيبتي

في هذه الأرض القاحلة

لَعليّ أستَظلُّ بها قليلاً

قبلَ أنْ أُتابعَ حفْرَ الفضاءِ.

آه أيُّها الخلدُ

كَمْ أنتَ عظيمٌ!!

!

قَالتْ لي: إنْ شئتَ فَصلْ

أَوْ لا تَصلْ

فكلاهُما سيّانِ عندي ! !

هي جُملةٌ قالتْها لمْ تَدرِ

بأَنَّ عُروقيَ انْفجرتْ،

وأَنَّ نُجوميَ انطفأتْ،

وَتاهتْ كُلُّ أحلامي

أمامَ برودةِ الكلماتِ

وانْتحرتْ.

* * * * *

أَوَهكذا تمضينَ نحوَ قطيعتي

وَنسيتِ لهفةَ مُهجتي؟

أَوَتذكرينْ؟

كمْ نجمةٍ حارتْ بِنَا عندَ الأصيلِ،

وفي الدُّجى...

كمْ نسمةٌ مَرَّتْ بنا

تَحتالُ... تَسرقُ وَجْدَنَا،

والبَدرُ ! !

هل تَتذكَّرينْ ؟

فلتسأليهْ

يَصْدُقكِ كمْ لَملَمْتُ دَمعَ العينِ

حينَ تركتِني مَعهُ، وكمْ

حَمَّلتُهُ إذْ غابَ أشواقي إليكِ

وصِدْقَ آهاتي الحزينةْ ! ! !

*****

هذا اعترافي

يَشهدُ اللَّيلُ بِأَنِّي

صُغتُهُ بدَمي وأحزانِي

وأَدْمُعِ مُقْلتِي،

ولَتعلمي!

سِيَّانَ عندي

أَنْ أَصِلْ أو لا أَصِلْ،

فحضورُكِ الأبديُّ يَحفِرُ خافِقي،

وأَظَلُّ أُغرِقُ في سَنا عَينيكِ

لا شيءَ

لِيُبعدَنِي عَنِ القاعِ

ولكنْ لا أَصِلْ!!

كانَ الموتُ موعدَنا

اتّفَقنا أنْ نَحياهُ معاً .

حَزَمْنا حقائبَنا ،

والتَقينا وَسطَ القصيدةِ .

تَردَّدنا !

أيّةُ طريقةٍ نختارُ لولوجِ الموتِ !

طريقةٌ ليسَ فيها إيلامٌ

أمْ طريقةٌ أكثرُ إبداعاً !

* * * * *

في الموتِ اتَّحَدْنَا

لا شيءَ يفصلُني عَنكِ .

نَسهرُ معاً ونَغفو معاً .

نناقشُ قصائدَ ما قبلَ الجاهليّةِ

وما بعدَ الحداثةِ .

تفاصيلُ وجهكِ كانتْ غائبةً عني

ولكنّكِ كنتِ في تَفاصيلِ موتي الدقيقةِ .

* * * * *

ظننتُ أنَّ الموتَ يختزلُ الأشياءَ

فذُهلْتُ من اتساعِ فضاءاتِها .

هنا ، الأعدادُ لا تُكتب بالأرقامِ وحدِها

بل يفصلُ بينها قلوبٌ ودموعٌ وأشياءُ أخرى .

* * * * *

أَتذكرين !

في أولِ موتٍ لَنا

سألتِني ضاحكةً عن كلمةٍ

بها أرقامٌ يُفصلُ بينها

قَلبٌ ويدٌ وتنهيدةٌ .

استغربْتُ وجودَ التَنهيدةِ هناك

فقلتِ لي

بأنّ مَشاعرَنا تتجسَّمُ في الموت .

أيّةُ روعةٍ يمكنُ منْ خلالِها

أَنْ تَعرفَ حجمَ حُبِّكَ لشخصٍ ما ؟

وكيفَ لشوقٍ أَنْ يَتمثَّلَ في حَضرةِ الموت !

احْتَرتُ بتلكَ الكلمةِ

إذْ لم تُصادفني في حالاتي السَّابقات،

ولَـمْ يُطلعني الرَّبُ عَليها في الموت.

ضَحكتِ كثيراً

حتى ابْتلَّتْ خدودُكِ بالدُّموع،

وبعدَ تردُّدٍ سألتُكِ عن المَعنى

فقلتِ لي: هذا هو اسمُكَ يا حَبيبي...

وتابَعْنا التَّعَرُّفَ على المُفردات.

!

أَتُصدِّقينْ !

إنْ قُلتُ إنَّكِ لمْ تعودي

مثلما كنتِ بقلبي قَبْلَ حينِ ؟

أَتُصدِّقينْ !

بأنَّ ليلي لَمْ يَعُدْ يَثْنيه

لحظُ عيونكِ الفتّاكُ

منْ أنْ تنتفي

في موجِهِ حُرْقى الحنين،

وأنَّ أيّامي استراحتْ

مِنْ لُهاثاتي وراءَكِ

بينَ زهرِ الأُقحوانِ،

وبينَ عطرِ اليَاسمين.

*****

هلْ تَذكرين!

قدْ كُنْتَ حَرْفاً في مدارِ الشِعرِ

يَرسمُ في دُنَايَ

مَعالمَ اللُّغزِ المُسافرِ

عَبْرَ أمواجِ التَرَدُّدِ والسؤالِ،

وَيَزيدُني سَفَراً لَعَلّي

أستطيعُ الوَصلَ ما بينَ

الحقيقةِ والخيالِ.

*****

قَدْ كُنت تلكَ الجُذْوةَ الشّمْطاءَ

تُرْهقُ حِسّ أعضائي . . .

تَهُزُّ رتابةَ الأشياءِ

في عقلي، وتُجبرُها

على إطلاقِ طاقتِها،

وتَعْصُرُ ماءَها الغَيْداقَ في قلبي

فلا يُضْنيهِ أيُّ عَطاء .

* * * * *

قَدْ كُنت

مُنذُ سكنتِ في قلبي نداءً

ليس يُسْكِنُهُ انغماسي

في غَضا عينيك،

أو في تَنهيدةِ الصَدرِ المُبرِّحِ

بالتياعِ الشَوقِ

للثَّغرِ المُوشَّحِ بالبَهاء .

والآنَ يا ياقوتَتي،

وبعدَ ما بُحتُ لكِ

أتصدّقينَ ! !

بأنَّ في مَقدورِ هذا القلبِ سلواكِ،

وأنَّ نجومَ ليلاتي وأيّامي

استراحتْ من لُهاثاتي

وراءكِ بينَ أشواكِ التياعي والحَنين !

أتصدّقينْ . . . !

أتصدّقينْ . . . !

حُلُمٌ قَادِمٌ مِنْ أقصى التَرَدُّدِ

يَبدو مُتواضعاً،

يَرتدي مِعْطفَ الرَّتابةِ

لِيُخفيَ تَوهُّجَ تَفاصيلِهِ.

لا شيءَ يُوحي بِخصوبتِهِ،

ولا حاجةَ له

كي يفتحَ أبوابَ قَلبَيْنا،

فمَشاعرِنا مُشرَّعةٌ أمامَهُ.

*****

حُلمٌ يَكْبحُ تفاصيلَ الحياةِ،

يَدنُو مِثلما الإِزْهارِ،

ويَتخلَّقُ على أغصانِ حِرمانِنا

دُونما تَبَجُّحٍ،

فَتنمو أزهارُهُ القَلِقَةُ

مِنْ غيرِ اطمئنانٍ.

*****

حُلـمٌ يَفضحُ لحظاتِ حياتِنَا المُزَيَّفةِ،

ويُعرّيها مِنْ فَرحِها الباهتِ.

يُمزّقُ كُلَّ الشرائعِ...

يَضعُ يدَهُ على خاصرةٍ مرتعشةٍ،

ويَطبعُ قُبْلةً على وَجْنتِها

ثُـمَّ يمضي...

قَالتْ تَعالَ . .

لنقطعَ بيننا الأخبارْ

مُنذُ اليومِ أسبوعاً،

لأَنَّ حُضورَكَ المحمومَ

حاصرَ كُلَّ حالاتي،

وأَوْهَتْ عِيشَتي الأشواقُ والأفكارْ،

فإذا مَشيتُ فأنتَ للدَّربِ رفيق،

وإذا جَلستُ بغُرفَتي

تأتي تبعثرُ كُلَّ أفكَاري،

وتنثرُ عطرَكَ الفتَّانْ

حولَ ضَفائري،

وتُعيقُ

أَنْفاسي وأحلامي..

حكاياتِي وأَشعاري،

وإذا نَهضتُ لأفتحَ بابَ دولابي

وجَدتُكَ فيهْ،

وإنْ قَبَّلْتُ (دبدوبي) شَممتُكَ فيهْ.

أراكَ بجانبي، وهناكَ...،

فوقَ المكتبِ المعمورِ بالكلماتِ والأقلامِ

وبين دفاتري تغفو،

فإنْ قَلَّبتُها استيقظتَ ثُمَّ أصابعي قَبَّلتَ.

أراكَ بينَ نجومِ اللَّيل تَرقُبُني،

ومثلَ البدرِ تحضنُني

وفوقَ الشايِ كاللَّيمونِ تَعصُرُني،

فهلْ يُرضيكَ ما آلتْ

إليهِ كلُّ أحوالي!

*****

تعالَ نُجربُ الأشياءَ بالمقلوب،

فلستُ أنا حبيبتُكَ الَّتي تَهوى،

ولستَ رفيقيَ المَقلوب،

فإنْ شاهدتُكَ انفجرَتْ

على عجلٍ حماقاتي،

وإنْ صادفَتني حوَّلْتَ

دربَكَ عن سلاماتي،

ولا تندَّسْ في سرِّي،

ولا تأتي على بالي،

ولكنْ فلتعاهدْني

لأُسبوعٍ ولا أكثر،

ومِنْ ثمَّ إلى ما كانَ

بينَ قلوبِنا الحمقاءِ فلنرجعْ . . .

* * * * *

وكنتُ أمامها كالشّعْرِ

مَقروءاً بلا كلماتْ،

وقلبي كانَ مشغولاً

بحضرتِها عن الخَفقاتْ .

لأُسبوعٍ معذبتي !

وكيفَ أُطيقُ نأيكِ عن سُويعاتِي،

وأنتِ الآنَ حاضرةٌ

بأنْفاسي ونظراتي،

أحاولُ دَفعكِ غَصْباً

بعيداً عن صَلَواتي،

فإنْ كَبَّرْتُ كُنتِ أمامَ تكبيري،

وإنْ بَسملتُ كانَ لاسمكِ التشكيكُ

في حِفظي وتَرتيلي،

وبينَ ركوعيَ الشَكْلي

وبينَ سجوديَ الصوري

يُوسوسُ لي سَنا عينيكِ،

ومبسمُ ثغركِ الناريُّ يُلهِيني .

أحاولُ زجرَ جفنيكِ فتكويني،

فإنْ سلَّمتُ عن يُمنايَ كنتِ هناك،

وإن سلَّمتُ عن يُسرايَ

رأيتُ سناكِ يغويني،

ولا يثنيكِ أنَّ صلاتي قد ضاعتْ

بغيرِ ثواب.

فماذا قُلتِ قاتلتي!!

لأسبوعٍ علاقتنا تريديني بأنْ أقطعْ..

خيَارٌ كادَ يُذهلُني

فلم أقنعْ ولم أسمعْ ولن أسمعْ.

مُرهقٌ جَفنُها

لا يقوَى على الفَرحِ،

وموزعةٌ عروقُ يَديْهَا

بَينَ جِراحِ العَابِرينَ.

عاجزةٌ كورقةٍ رخوةٍ

أَكلتْها الأَرَضَةُ،

وليسَ بِمقدورِها أَنْ تَبوحَ

بما كَتبهُ السَهرُ

على مِنسَأةِ قَلبِها

قبلَ أَنْ يَتحطمَ

كزجاجةِ دواءٍ .

لا!!

لنْ تَنفذَ كلماتُ عشقِي

حتى تَنفذَ مِنَ الغُروبِ دمائي،

ولن أُلغيَ مِنَ الحُبِّ انتمائي

إلى أنْ تَجفَّ البحارُ خَجلاً،

وَيُروِّضَ الموجُ تَراتيلَ غِنائي،

أو تَطويَ لوعتي رِمالُ الصَّحارى،

وَتغوصُ فيها كلُّ أسمائي.

*****

أيَّتها الجَاثمةُ مَا بينَ ضُلوعي

لا تَأخذي نَصيبَ الشَّمسِ مِنَ الحَياة،

ودَعِي للدُّروبِ التواءاتِها

فقدْ أرْهقَها الانتظارُ.

أَرفِقي بأشجارِ الصُنوبرِ،

وجَلِّليْها مِنْ عَبْقِ كفَّيكِ

لِتَنتصبَ كحُبي لكِ.

*****

يا رفيقةَ حُلمي المتردِّدِ

تَعالي نَسرقُ مِنَ الوقتِ

عدمَ اكتراثِهِ بالحياةِ،

ولْنَعشْ بعيداً عن الحِساباتِ.

ازرعي قلبي في صَدرِكِ، وسأُرحِّبُ بالموتِ...

الموتِ الحقيقيِ الَّذي هو على صورتِك.

ما لِقلبٍ لَمْ يَرِقْ!

إذ رأى ما في الأُفقْ

حدّقي فيما سَنَا

بينَ نَجماتِ الأزرقْ

ربَّما قَدْ أغتَدي

مثلَ طيفٍ قد مَرَقْ

مِثلَ حَيرانٍ وَنَى

حينَ أضْناهُ القَلقْ

فهوَ كالنُّورِ انْبَرى

بينَ أمْواجِ الغَسقْ

لونُ عينيكِ انْجَلى

كالوُمَيضاتِ بَرَقْ

أيُّها الوَمضُ ارقِني !

إنَّ قَلبي قد خَفقْ

ولتكُنْ نوراً بدا

مِن نُهى الفَجرِ انبثقْ

ولْتكنْ في مُزنةٍ

مِلؤها شَوقٌ غَدقْ

وإذا قَلبي هَمـا

مثلَ آهـاتِ الوَدقْ

واعْتَرَتْه رَعشـةٌ

إذْ تَغشّاهُ الشَـفقْ

والنَوى قَدْ لَفَّنـا

ليسَ تَثنيهِ الحُرَقْ

فاذْكُري قَلباً عَنا

في هواكِ قَد صَدقْ

لــم يعدْ خَوفٌ به

مِنْ ضَياعٍ أو غَرقْ

مُتواطئاً معَ هَواجَسي

لا شيءَ يَحجُبُ نَفسي

عن قَلَقِها .

يَمُرُّ الوقتُ كصيّادٍ دبقٍ،

وأَنا أُريحُ ظَهري

على سريرٍ مُفرطٍ بالأناقةِ .

نافذةٌ مُوصدةٌ على جَسدي النَاحلِ

تُجْهِضُ بشفافيتها وَهْجَ الحَياةِ.

أَنظرُ للأفقِ فَينتابُني نَزقٌ، لكنْ

لا شيءَ عندي لأستفزَّ غَضبَهُ،

وأنا لا أَقْبَلُ أَنْصافَ الحُلولِ!

حياةٌ أو موتٌ...

أو لا شيءَ مُطلقاً

لكنَّ قلبِيَ المُتمرِّدَ

لا يريدُ أنْ ينهِيَ رَكْزَهُ.

أَخشى أنْ تَطولَ حركاتُهُ التافهةُ،

وهو يُشعرُني بتواطئِهِ

معَ أعضائيَ الأُخرى.

تُرى!!

كيفَ أُوقِفُ تَسليتَهُ بِي،

وأنا التوّاقُ لأُفُقٍ آخرٍ.

يا لِقلبيَ الخائنِ!

أيُّها الكَلبُ!!

للشَمسِ أيدٍ مِن حَرِيرٍ،

ولها أَصابعُكِ المُقدَّسةُ الجَريئة

تَستنهضُ الأنوارَ مِنْ رَحـمِ الظَلامِ

فتَكتَسي أَوراقُ أيّامي بألوانِ الفَراشِ.

للشَمسِ عينٌ مثلُ قلبكِ

تَرقُبُ الأرضَ بلحظٍ مِنْ ضِياءِ

فتُعانِقُ الزَمنَ المدمِّرَ للسكونْ

مِنْ دونِ أنْ يَثنيهِ صَخبُ الكونِ

عِن إبحارهِ الأبديِّ في عُمقِ البقاءِ .

* * * * *

للشَمسِ نَبضٌ

مِثلُ لهفةِ صوتِكِ المزروعِ

في جدرانِ أوردتِي .

يُعاندُ نأيكِ عَنها ،

ويَصبغُ تَوقَ أيامي بأَحلامِ اللُّقا المَمنوعِ

إلاَّ في رُؤى قَلبي،

فإنْ ضَاقتْ بنا الأقدارُ

لا تُهدي لأَعيُنِنا بَصيصَ لقاءْ

فليَعلمِ اللَّونُ الطويلُ بمقلتيكِ بأَنَّني

قدْ كنتُ أولَ مَن سَبَى

لَحظَ الخميلةِ،

واستثارَ جَنَانَها الهَيمانَ

في عُمقِ الصَّحاري فانْتشتْ

مَا بينَ كفيَّ الأغاني

صاغَها فُوكِ بألحانِ التأوُّهِ والأماني.

لِشَفتيكِ سلامٌ توصِلُ إلى قَلبكِ

غيرَ أنَّ مَشاعِري

حَرَنتْ عندَ عَتَبَتِهِمَا

إذْ انسَحَرَتْ بِنداها،

وكُلَّما نَأى بها شوقٌ

كانَ لَهيبُ شَفَتيكِ

يَرُدُّها إلى دائرةِ نارِكِ.

معكِ أشعرُ أنّي حُوارٌ بينَ يديْ أُمّه،

وحينَ أُلامِسُ كفَّيكِ

تَحتويني طُمَأنينةُ الصَّحارى،

وأغرقُ في هدوءٍ لا تَكسرُه

إلاّ تَنهُّداتُكِ،

وعندما تَتقمصُ شِفاهُنا لَهفَةَ العِشقِ

يُبحرُ الرَّواءُ بَعيداً عن شَغَفِها،

وَلا يَبقى لِلسائِكِ

إلاّ الامتِثالُ لأَبجَديَّةِ الحُبِّ،

فيَمضي في سَراديبِ اللَّذةِ

بَاحثاً عَن صِنْوِهِ . . . فيَتوحَّدان،

وَتَسري في أَرجائِنا أَقانيمُ الحَيَاةِ .

تُسافِرُ يَدايَ فَوقَ سهولِ الخِصبِ

فَتَرتَعِشُ أُوصالُكِ،

ويَتَعالى صَهيلُ قَلبِكِ .

أَيَّتُها المُتناثِرةُ في جَوانِحي

شُكراً لكِ ! !

لأنَّكِ أعدْتِ قَلبي للضّياء .

!

لَيْتَني شعاعٌ مِنَ الضوءِ

فَأُباغتُ حَبيبتي

عاريةً إلاَّ مِنْ عِشقِي لها . . .

عندئذٍ

لَنْ يكونَ بِمقدورِها

الاختفاءُ في الظُلمةِ،

وسأُقَبِّلُها في كلِّ بُقعةٍ

تَصلُ إليها شَفَتا ضَوئِي،

وسأَزرعُ على حَواشي مُنحدراتِها

أزهاراً مِنْ زَبَدِ البَحرِ

حتى إذا داهَمَها العُمرُ،

وخَبَا صَهيلُ رُمّانِها

وَقَفَتْ كَموجِ الفَجرِ،

وتَفَتَّحتْ كالبرقِ.

لَيْتَني... لَيْتَني!!!

ولكنَّها حُلمٌ لا يُمكنُ اقْتناصُهُ

إلاَّ بِرَجَّةٍ مِنْ وَضْحِ الموتِ.

الشّوقُ يَسري في عُروقي

مثلما عَيناكِ في قلبي تَجوب.

إحساسُهُ يُضفي على ليلي قميصاً

مِنْ حريرِ الضَوءِ باهٍ،

يأخذُ النَفْسَ بعيداً

عَبرَ أرجاءِ الخلود.

حائرٌ حَدْسي أضاعتْهُ ظروفُكِ.

تارةً تأتينَ

كالحُلُمِ المُبدَّدِ . . . كالسَرابِ،

وتارةً أمضي بلا حُلمٍ

ولا تأتينَ إلاَّ كالصَّدى،

وأنا المأزومُ لا أقوى على فرحٍ

فأقبعُ بينَ أشلاءِ التَمنّي

أَرقبُ الأيامَ عَلّي

إنْ حبَتْني منْ جَنا عينيكِ بَوحاً

ربُما يَكفي ليُوصِلَني

إلى الموتِ فما عادتْ نَوائحُ خافقي

تُرْوَى بوعدٍ ليس يُفْضِي لِلّقاءِ .